

صورة اليهود في شعر شرف الدين البوصيري\*

## The Image of Jews in the Poetry of Sharaf-Eddeen Alboseri

راند عبد الرحيم\*، وميساء قط

Raed Abdurraheem & Maysaa Qut

\*قسم اللغة العربية، كلية العلوم الانسانية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين

\*الباحث المراسل، بريد الكتروني: rarrabeh@najah.edu

تاريخ التسليم: (2014/7/16)، تاريخ القبول: (2015/10/11)

### ملخص

البوصيري شاعر مهم من شعراء العصر المملوكي الأول، خاض شعره في المديح النبوي، ومجادلة اليهود والنصارى، وتناول جوانب من الحياة الاجتماعية في العصر المملوكي الأول. وقد امتزج شعره برؤيته الدينية، هذه الرؤية النابعة من ثقافته الإسلامية، ومن تحبره في الديانات الأخرى، وبخاصة المسيحية واليهودية، وعكست توجهه الصوفي، إذ كان أحد أرباب التصوف في عصره. لقد صور البوصيري الآخر في شعره، ومنهم اليهود، وأكثر من الحديث عنهم في مدائحه، وفي قصيدته "المخرج المردود في الرد على النصارى واليهود"، وقدم لهم صوراً متعددة في شعره، وبخاصة الصور الدينية. وعلى الرغم من أهمية الموضوع، إلا أن باحثاً في شعر العصر المملوكي الأول لم يتناوله في بحث مستقل، ومن هنا جاء هذا البحث ليميط اللثام عن صورة اليهود في شعر البوصيري، وليبين وجهة نظر الشاعر فيهم. اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وركز على التاريخ والكتب الدينية حيث اقتضى الأمر ذلك. وانتظم عقده في ثلاثة فصول: الأول: حياة اليهود الدينية والاجتماعية. والثاني: موقفهم من الأنبياء. والثالث: أخلاقهم وصفاتهم.

الكلمات المفتاحية: شعر، صورة، ويهود.

### Abstract

Alboseri is an important poet from the Mamluki first era. His poetry had dealt with the praising the prophet, debating Jews and Christians, and

\* بحث مستقل من أطروحة ماجستير بعنوان "صورة اليهود في شعر العصر المملوكي الأول (648هـ-784هـ)".

had dealt with some aspects of the social life in the first Mamluki era. His poetry had mixed with his religious vision which emanated from his Islamic culture and from his study to the other religions especially the Christianity and Judaism. It reflects his Sufi trend as he was one of the Sufi lords in his time. Alboseri had represented the other in his poetry such as Jews. He mentioned them a lot in his praise poems. He presented many images of Jews in his poem "AlmakhradjAlmardoud Fi-rrad 'Ala AnnasaraWal-Yahood" especially the religious images. In spite of the importance of this topic, there was no researcher dealt with it in a separate research in the first Mamluki era, so this research came to revile the image of Jews in the poetry of Alboseri, and to show the poet's opinion about them. This research depended on the inductive descriptive analytical methodology, and on the history and religious books where that was required. This research consists of three chapters: The first: religious-social and life of Jews. The second: their attitude toward prophets. The third: the morals and qualities of Jews. We should point out that this research is inspired by a master thesis submitted by the student: MaysaaTahseen Mustafa Qut in Partial fulfillment of the requirements for the degree of master from the department of Arabic language - An-Najah National University. The thesis was under the supervision of Dr. RaedAbdurraheem who suggested the topic and guided the student in her research. The supervisor and the student suggested extracting the image of Jews from the thesis and publishing it because it represents the important part of the thesis.

**Key words:** Poet, image, Jewish.

#### مقدمة

يحتفل الأدب العربي، القديم والحديث بكوكبة من الشعراء الذين حفروا أسماءهم في ذاكرة قرائهم، فلم يتركوا موضوعاً إلا وعبروا عنه بما جادت قرائحهم، وفاضت أقلامهم، وقد كان لشعراء عصر المماليك نصيب وافر من هذا الشعر، الذي طرق مختلف المجالات، ويمكن القول: إنَّ البوصيري (608-696هـ) كان من أبرز شعراء ذلك العصر، فقد خلف تراثاً قيماً، وكان شعره مرآة لذلك العصر، وعُدَّ وثيقة تاريخية، يمكن العودة إليها.

وقد اشتهر البوصيري لما نظمته من شعر في المديح النبوي بعد أن أصبح متصوفاً، وامتاز بثقافة دينية عالية مكنته من الرد على اليهود والنصارى ومحاجتهم بعد أن درس التوراة

والإنجيل والفقهاء، ما مكّنه من كشف زيف ادّعاءاتهم، والردّ عليهم بكل جرأة، وقد قدّم في شعره صوراً مختلفة للآخر اليهودي، هذه الصور لم يعتن بها أحد من الباحثين في بحث مستقل أو دراسة مستقلة، ومن هنا جاء هذا البحث ليتناول تلك الصورة، وليستقرئ الشعر المعبر عن اليهود، ويصفه ويحلّله، ويبين وجهة نظر الشاعر في ذلك. ومن هنا اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، واتكأ على التاريخ والكتب الدينية في توضيح صورة اليهود، وتعميق فهمها.

### وقد انتظم عقد هذا البحث في ثلاثة فصول وخاتمة

أما الفصل الأول، وهو "حياة اليهود الدينية والاجتماعية"، فقد تناول معتقدات اليهود، وبعض الجوانب المتعلقة بحياتهم الاجتماعية في المجتمع الإسلامي في العصر المملوكي الأول. وتحدث الفصل الثاني عن مواقف اليهود من الأنبياء الذين ذكرهم البوصيري في ديوانه، وذلك وفق ما ورد في توراتهم، وقد رتب الأنبياء حسب تاريخ وفاتهم "الأقدم فالأحدث"، ونظراً لغزارة المادة الشعرية في هذا الموضوع لم يوضع تحت عنوان الحياة الدينية، فقد شكّل فصلاً طويلاً.

أما الفصل الأخير "أخلاقهم وصفاتهم"، فقد استقرأ النصوص الشعرية في شعر البوصيري التي تعرضت لصفاتهم، وصنّف الأشعار في عناوين حسب كثرة ورود الأشعار الدالة على صفة بعينها.

لقد كان الكتاب المقدس مصدراً أساسياً لهذا البحث، فلم يخلُ فصل من وجود نصوص توراتية، تبيّن ما قاله البوصيري في شعره، وهناك دراسات سابقة أخرى لا بدّ من الإشارة إليها، وهي:

1. المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري، أشار فيها مخيمر صالح إلى ملامح ثقافة البوصيري الدينية، التي ساعدته في الردّ على اليهود والنصارى، وأورد الأبيات التي جادل فيها البوصيري النصارى واليهود، معتمداً على نصوص من التوراة والإنجيل، ولكنّه لم يتطرق إلى أشعار أخرى قبلت في اليهود.
2. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، سعيد عبد الفتاح عاشور، فقد أفاد الدراسة من خلال التعرف إلى المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، فكان بما احتواه داعماً لما جاء في شعر البوصيري.

### الفصل الأول: حياة اليهود الدينية والاجتماعية

#### أولاً: الحياة الدينية

لقد كان للثقافة الدينية التي نهل منها البوصيري أثر مهم أسهم في قدرته على الردّ على ادعاءات اليهود واقتراءاتهم، بعد أن درس التوراة دراسة فاحصة، ودرس كذلك جانباً من

التاريخ الإسلامي، وألم بمبادئ الفقه<sup>(1)</sup>، فأعطاه كل ذلك جرأة في التصدي لهم، وقد خصّص جزءاً كبيراً من قصائده لهذا الغرض، وسيقوم البحث باستنطاقها ومناقشتها ضمن الآتي:

### معتقداتهم

عاش البوصيري في بيئة تعجّ بالطوائف الدينية من نصرانية ويهودية، في فترة كثرت فيها الحملات الصليبية على الأقطار الإسلامية ومنها مصر<sup>(2)</sup>، ما جعله ينهج في قصائده نهجاً واضحاً يقوم على أساس بيان عقيدة اليهود وادعاءاتهم، ثم الرد على هذه المزاعم وتفنيدها بالأدلة العقلية والدينية من التوراة والإنجيل، ومن هذه المزاعم التي آمنوا بها عقيدة "البداء"، وهي "ظهور مصلحة الله بعد خفائها"<sup>(3)</sup>، وادّعوا أنّ الشريعة لا تكون إلا واحدة، ابتدأت بموسى وختمت به، وما كان قبله حدود عقلية، ولم يجيزوا النسخ، وقالوا: النسخ في الأوامر بداء<sup>(4)</sup>. وقد أشار البوصيري إلى ذلك في قصيدته "الهمزية" يقول<sup>(5)</sup>:

خبرونا أهل الكتابين من أين  
ما أتى بالعقيدتين كتاب  
والدعاوى ما لم تُقيموا عليها  
أناكم تتليكم والبدا  
واعتقاداً لا نص فيه ادعاء  
بيّنات أبناؤها أدياء

فالشاعر يطالبهم بالحجة والبرهان على ادعائهم "البداء"، إذ لم يأت في عقيدة اليهود دليل على ذلك، فكان ادعائهم باطلاً، ثم يعيب عليهم جهلهم وسخافتهم حيث جوّزوا مسخهم واعترفوا به، ولكنهم رفضوا النسخ، فيقيم الشاعر عليهم الحجة بالأدلة في قوله<sup>(6)</sup>:

جوّزوا النسخ مثلما جوّزوا المسخ  
عليهم لو أنّهم فقهاء

وفي البيت تقديم جواب الشرط "لو"، أي لو أنهم فقهاء جوّزوا النسخ مثلما جوّزوا المسخ. ويتابع في القصيدة نفسها<sup>(7)</sup>:

هو إلا أن يُرفع الحكم بالحكم  
ولحكم من الزمان انتهاء  
فسلوهم أكان في مسخهم نسخ  
وخلق فيه وأمر سواء  
ولحكم من الزمان ابتداء  
لأيّيات الله أم إنشياء

(1) انظر: الخولي، 2009م، ص13.

(2) انظر: صالح، 1986م، ص198.

(3) الهينمي، 1998، ص856.

(4) انظر: ابن الوردي، 1970م، ص123.

(5) البوصيري، 1955م، ص15.

(6) البوصيري، 1955م، ص16.

(7) البوصيري، 1955م، ص16.

فالشاعر يطلب إلى المسلمين سؤالهم، عن مسخهم هل كان فيه نسخ أم خلق صورة جديدة لهم، فإن قالوا فيه نسخ، فقد ناقضوا أنفسهم لأنهم يرفضون النسخ، وإن قالوا هو إنشاء فهذا مكابرة وعنادٌ منهم<sup>(1)</sup>.

ويستمر البوصيري في الأبيات الأربعة الآتية مقيماً عليهم الحجج والأدلة التي توجب إيمانهم بالنسخ، ويظهر في الأبيات اطلاع البوصيري على ما كتبه اليهود في توراتهم، يقول<sup>(2)</sup>:

وبدأء في قَوْلِهِمْ نَدِمَ اللهُ	على خَلْقِ آدَمَ أم خَطَأء
أم محَا اللهُ آيَةَ اللَّيْلِ ذِكْرًا	بعَدَ سَهْوِ لِيُوَجِّدَ الإِمْسَاءء
أم بدَا لِلإِلهِ في ذَبْحِ إِسْحَاقَ	وقَدَ كَانَ الأَمْرُ فيه مَضَاءء
أو مَا حَرَّمَ الإِلهُ نِكَاحَ الأَخْتِ	بعَدَ التَّحْلِيلِ فَهوَ الزَّئِنَاءء

وقد جاء في توراتهم "ندم الله على خلق آدم والبشر في نفسه وفي قلبه وفكر محوهم"<sup>(3)</sup>، فلا زال الشاعر يطلب إلى المسلمين سؤالهم هل ما قالوه من ندم الله على خلق آدم "بداء" أم أنه خطأ؟، فإن قالوا بالأول، فهذا يستلزم إيمانهم بالنسخ، وإن قالوا بالثاني فهذا زعم ومحض افتراء، ويسوق الشاعر الدليل الثاني الذي يلزمهم بقبول النسخ فيعطيهم دليلاً عقلياً على أن الله يمحو الليل ويزيل الظلمة ليأتي النهار، ثم يمحو النهار لتعم الظلمة، فهل وقع هذا الأمر من الله سهواً ثم تذكر ليوجد الليل أو ليوجد النهار؟<sup>(4)</sup>.

وينتقل الشاعر ليسوق حجةً ثالثة تلزمهم بالنسخ، وهي حجة من توراتهم، فقد ذكروا أن الذبيح هو "إسحق" وليس إسماعيل، حيث جاء في توراتهم أن الله أمر إبراهيم بربط إسحق وبناء المذبح، وجمع الحطب ثم مده يده وأخذ السكين ليذبح إسحق، في مكان اسمه "أرض المريا"، ولكن الرب فداه بكبش<sup>(5)</sup>.

ولأن إبراهيم صدق ما أمره الله به قال له الرب: "أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثر اكنجوم السماء وكالرمال على شاطئ البحر، من أجل أنك سمعت لقولي"<sup>(6)</sup>.

فيعد أن كان الأمر بذبحه واقعاً نافذاً، فُدي بكبش، فإذا آمن اليهود بالفداء وجب عليهم الإيمان بالنسخ، وإن لم يؤمنوا فهذا تناقض عقدي.

(1) انظر: الهيتمي، 1998م، ص900.

(2) البوصيري، 1955م، ص16.

(3) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين/ إصحاح6، 1991م، ص10.

(4) انظر: الهيتمي، 1998م، ص261.

(5) انظر: سفر التكوين/ إصحاح21، 1991م، ص22.

(6) سفر التكوين/ إصحاح21، 1991م، ص23.

ويستمر البوصيري في الرد على زعمهم برفض النسخ، طالبا سؤالهم عن تحريم نكاح الأخت بعد تحليلها زمن آدم، فإن قالوا: حرّمها بعد أن حلّها يكون هذا هو النسخ الذي أنكروه، وإن قالوا: لم يحرّمها، كان هذا عناداً تُصَفوا به<sup>(1)</sup>.

من الملاحظ أنّ البوصيري في سياق رده على ادعاءات اليهود برفض النسخ يذكر اعترافهم بالمسخ، وهذا يقود للحديث عن تعديهم في السبت، وقد أشار الشاعر إلى ذلك في غير قصيدة، يقول في "همزيته"<sup>(2)</sup>:

لو أريدوا في حال سببت بخير  
هو يوم مبارك قيل للتصريف  
فبظلم منّهم وكفر عدوّهم  
كان سببتاً لديهم الأربعاء  
فيه من اليهود اعتداءً  
طيبات في تركهن ابتلاءً

فلو أراد الله الخير لهم لهداهم لتعظيم يوم آخر غير السبت الذي يعني "القطع"، كالأربعاء مثلاً، والسبت يوم مبارك عظمت حرمة، فمن اعتدى فيه ببغي عجل الله عقوبته<sup>(3)</sup>، فقد جاء في توراتهم أنّ من اعتدى فيه يُقتل حتى الموت: "الموت لمن يكسر السبت"<sup>(4)</sup>، وقد ورد هذا المعنى المعنى أيضاً في سفر اللاويين/ إصحاح 23، وهم يعتقدون أنّ الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع "السبت"، فقد جاء في توراتهم: "كل من صنع عملاً يوم السبت يُقتل قتلاً...، لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس"<sup>(5)</sup>.

لقد أخذ اليهود بما جاء في التوراة، وفعلوا ما نهاهم الله عنه، واحتالوا وعملوا في السبت، فقد ورد أنّ أناساً منهم زمن داوود عليه السلام، وصل عددهم اثني عشر ألفاً، اصطادوا فيه، وكانوا يقيمون بقرية تدعى "أيله"، وهي على جانب البحر، فابتلاههم الله بأن ألهم الحيتان يوم السبت أن ترفع خرطومها فتفرّق السمك، ما جعلهم يحتالون بحفر خندق يوم الجمعة بجانب البحر، فيمتلئ بالماء والسمك، فيأتون يوم الأحد ويأخذونه، ويشوونه ويأكلونه، فيسألهم جيرانهم فيخبرونهم بالحيلة فيقولون: "إنّ الله سيعذبكم"، ولكن لما تأخر العذاب عنهم، تبعتهم جماعة أخرى فصاروا الثلث، والثلث الباقي سكتوا، والثلث اعتزلوا وبنوا بينهم حائطاً فمسخ الله الثلث الأول والثاني قردة وخنزير، ولم يُعرف ما حلّ بالثلث الثالث<sup>(6)</sup>، هؤلاء هم الذين قال الله عز وجل فيهم "ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين"<sup>(7)</sup>.

(1) انظر: المهدي، 2010م، ص263.

(2) البوصيري، 1955م، ص17، 16.

(3) انظر: الهيثمي، 1998م، ص916، 917.

(4) سفر العدد/ إصحاح 15، 1991م، ص177.

(5) سفر الخروج/ إصحاح 31، 1991م، ص103.

(6) انظر: الهيثمي، 1998م، ص920-921، وانظر أيضاً: المهدي، 2010م، ص266.

(7) سورة البقرة، آية 65.

لأجل ذلك استحق اليهود الحرمان من الطيبات، واستحقوا المسخ إلى قرده بعد أن كانوا مكرّمين، فحاق بهم الهلاك بسبب ظلمهم وكفرهم، وتطلّ فكرة مسخ اليهود حاضرة في ذهن البوصيري، وتلّح عليه في قصائده إذ قال في قصيدته "تقدّيس الحرم من تدنيس الضرم"، يردّ فيها على ادعاءاتهم الباطلة بعد اشتعال النار في الحرم النبوي سنة 654هـ<sup>(1)</sup>، يقول<sup>(2)</sup>:

دَعُوا مَعْشَرَ الضَّلالِ عَنَّا حديتكم  
فلو أنكم خَلَقَ كَرِيمٌ مُسَخَّم  
فلا خطأً مِنْهُ يُجابُ ولا عمدُ  
بَقولكم لَكُنْ بِمَنْ يُمَسَخُ القردُ؟

فيذكرهم بماضيهم الأسود حين مسخوا قرده، إذ لو كانوا قوما كرماء لما غضب الله عليهم، لذلك فهم أمة ضالّة لا يُصدّق حديثها أبداً، وهو لا يفضلهم على أحد حتى على النصاري الذين ذمّهم عندما لم يهدوه في العيد، فعاد وكتب قصيدة ذمّ فيها اليهود مذكراً إياهم بمسخهم إلى قرود، يقول<sup>(3)</sup>:

وكيفَ تُفضُّ يَأهمَ وفـيهم سرُّ الخنازيرِ والقـرودِ؟

والاستفهام يفيد "الإنكار"، إذ لا يمكن تفضيلهم؛ لأنّ الله مسخهم إلى خنازير وقرود.

ولم يكتف اليهود بمخالفتهم أوامر الله، بل اعتقدوا بأنّ الله تعالى، كالبشر يقاتل ويضرب ويضرب، قد تصارع مع "إسرائيل" فصّره إسرائيل، يقول البوصيري<sup>(4)</sup>:

وكفَى اليهودَ بأنهم قَدُ مثَّلوا  
وبأنَّ إسرائيلَ صَارَ رِبُّهُ  
مَعْبُودَهُمَ بعبادتهِ تَمَثَّلوا  
ورمى بِهِ شُكراً لِإسرائيلِ

وهذا لم يكن محض افتراء من الشاعر وإنما وجدته في توراتهم حيث جاء فيها ..... "فخلق الله الإنسان على صورته"<sup>(5)</sup>، وزعموا أنه تصارع مع إسرائيل "يعقوب" فصّره ولأجل ذلك غيّر الرب اسمه إلى "إسرائيل"، فقد جاء في توراتهم "فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر.....، فسأله ما اسمك؟ فقال: "يعقوب" فقال: "لا يُدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت"<sup>(6)</sup>.

(1) انظر: البوصيري، 1955م، ص64.

(2) البوصيري، 1955م، ص63-64.

(3) البوصيري، 1955، ص81.

(4) البوصيري، 1955م، ص134.

(5) سفر التكوين/ إصحاح 1، 1991م، ص4.

(6) سفر التكوين/ إصحاح 32، 1991م، ص53.

## ثانياً: الحياة الاجتماعية

لعلّ دراسة الحياة الاجتماعية لليهود في شعر البوصيري تتطلّب منا العودة إلى المصادر التاريخية التي أرّخت واقع اليهود الاجتماعي في فترة العصر المملوكي.

فقد كوّن أهل الذمة أقلية مهمّة في المجتمع المصري، إذ قدّر بعض الرّحالة الغربيين الذين زاروا مصر في عصر سلاطين المماليك عددهم بعشرين ألفاً في القاهرة وحدها، نصفهم أقباط والنصف الآخر يهود، وقد عملوا في مختلف الأعمال وبخاصة في التجارة، والأعمال المصرفية والمالية، وكان لاتساع تجارة مصر سبب في اجتذابهم إلى القسطنطينية وبغداد وعكا وصور وحلب والأندلس، فقد عاشوا حياة سعيدة في مصر بسبب التسامح الديني ولكنهم تعرضوا في فترة الحروب الصليبية لبعض المضايقات والاضطهادات التي ما لبثت أن زالت واستقر وضعهم<sup>(1)</sup>. وكان من بين القوانين التي فُرِضت عليهم في تلك الفترة، أن أُجبروا على لباس معين. ولعل المظهر الاجتماعي الوحيد الذي برز في شعر البوصيري هو حديثه عن تبادلهم الهدايا مع أبناء مجتمعهم، ومنهم البوصيري، الذي كان يعاني صناعة الكتابة والتصرف، وباشر الشرقية ببلييس<sup>(2)</sup>، وكان كُتّاب النصارى يدارونه خشية لسانه، ويحملون إليه الهدايا في أعيادهم، ولكن حدث أن أهملوه مرّة فهجاهم، مادحاً اليهود<sup>(3)</sup>، في قوله<sup>(4)</sup>:

يهودٌ بلبيسٍ كلّ عيدٍ      أفضلٌ عندي من النصارى  
أما ترى البغل وهو بغلٌ      ففي فضله يفضُّ الأحمرا

فالشاعر يشبه اليهود "بالبغال"، ويفضّلهم في ذلك على النصارى، ويراهم "حميراً"، وذلك إضفاء لصفة الغباء والبلادة عليهم، وفي الحقيقة أنه ذمّ الطرفين.

ولكنّ النصارى حين سمعوا بالبيتين هدّوه، وتوعده<sup>(5)</sup>، فاضطرّ للقول<sup>(6)</sup>:

ما للنصارى إليّ ذنبٌ      وإنّما اللذنبُ للهـودِ  
وكيف تفضيهم فيهم      سرُّ الخنازير والقُرودِ

فيعود البوصيري معيّراً إياهم بقصة مسخهم إلى قرود وخنازير، مذكراً إياهم بماضيهم الأسود، ومخالفتهم عقيدة دينهم، فينفي تفضيلهم على النصارى.

(1) انظر: عاشور، 1962م، ص40-43.

(2) انظر: الدمشقي، 1973م، ص362.

(3) انظر: البوصيري، 1955م، ص9.

(4) البوصيري، 1955م، ص9.

(5) انظر: البوصيري، 1955م، ص9.

(6) البوصيري، 1955م، ص9.

### الفصل الثاني: موقفهم من الأنبياء

إنّ الكتابة عن اليهود وموقفهم تستنزف الكثير من المداد لما قاموا به من جرائم على مرّ العصور، فلم يسلم من شرّهم أحدٌ حتى الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم، فقد حرّفوا قصصهم وافترخوا عليهم ادّعاءات باطلة "وقد روي أنهم قتلوا سبعين نبياً في يوم واحد"<sup>(1)</sup>، ولم تبق التوراة كما هي، فهي في الأصل كتاب سماويّ أنزل على موسى في ألواح تسلّمها في جبل الطور، ولكن أحبار اليهود حرّفوا تبعاً لمصالحهم ومطامعهم<sup>(2)</sup>، وقد ذكر الله عز وجل ذلك في القرآن الكريم يقول: "فِيمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً، يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ"<sup>(3)</sup>، فلم يترك اليهود حكماً في التوراة إلا وحرّفوه، حتى عدت تعجُّ بالمتناقضات التي لا يقبلها عقل، وبسبب أخذ البوصيري حظاً وافراً من دراسة التوراة، وإطلاعه على الكتب الدينية، استطاع بشعره أن يكشف زيفهم ويحاججهم بالمنطق العقلي، وبأدلة قاطعة من توراتهم، يقول<sup>(4)</sup>:

أَخْلُوا كِتَابَ اللَّهِ مِنْ أَحْكَامِهِ	عَدُّوا وَكَانَ الْعَامِرُ الْمَأْهُولَا
جَعَلُوا الْحَرَامَ بِهِ حَلَالاً وَالْهَدَى	غِيّاً وَمَوْصُولَ التَّقَى مَفْصُولاً
كْتَمُوا الْعِبَادَةَ وَالْمَعَادَ وَمَا رَعُوا	لِلْحَقِّ تَعْجِيلاً وَلَا تَسْأَجِيلاً

وسبب هذا الفصل افتراءات اليهود على الأنبياء، وموقفهم منهم، وكيف صورته توراتهم، وذلك من خلال استنطاق قصائد البوصيري، وذلك وفق الترتيب الزمني لبعثة الأنبياء<sup>(5)</sup>.

#### لوط عليه السلام

اتهم اليهود لوطاً بعدم غيرته على شرف بناته، حيث ذفوه بتهم باطلة، يقول البوصيري<sup>(6)</sup> لم ينتهوا عن قذف داوود ولا لوط فكيف بقذفهم روبيلا

فقد جاء في توراتهم، أنه بعد أن حضر الملكان إلى بيته جاء رجال المدينة يبحثان عنهما يريدان قتلها، فخرج لوط إليهما وأغلق الباب، وقال لهما: "هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلاً أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم، وأما هذان الرجلان، فلا تفعلوا بهما شيئاً، لأنهما قد دخلا تحت ظلّ سقفي"<sup>(7)</sup>.

(1) انظر: الخولي، 2009م، ص169.

(2) انظر: الزوي، 2000م، ص13.

(3) سورة المائدة، آية 13.

(4) البوصيري، 1955م، ص140.

(5) الترتيب حسب الموقع الإلكتروني: [www.alahdal.net/vb/showthread.php?4869](http://www.alahdal.net/vb/showthread.php?4869).

(6) البوصيري، 1955م، ص137.

(7) سفر التكوين/ إصحاح19، 1991م، ص27، 26.

فقد وصل سوء الظن بهم إلى اتهام الأنبياء بتحليل الزنا، فكيف يدعون ذلك في شخص يؤمنون بنبوته؟ ما ذلك إلا لأنهم ضالون.

#### إبراهيم عليه السلام

لم يتورع اليهود عن رشق الأنبياء بتهم باطلة، حيث اتهموا سيدنا إبراهيم في قصة ضيفه الذين جاؤوا لزيارته، فقد جوزوا عليه أنه أطمع الله خبزاً ليقوى به، وماء ليغسل رجليه به<sup>(1)</sup>، وقد أشار البوصيري إلى ذلك بقوله<sup>(2)</sup>:

وبأن إبراهيم حاول أكله      خبزاً ورام لرجليه تغسلياً

وقد ذُكرت القصة في القرآن الكريم فقد قال تعالى: "هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين"<sup>(3)</sup>.

فقد جاء في القرآن الكريم أنّ ضيوف إبراهيم هم الملائكة، جاؤوا يبشرونه بإسحق ومن بعده يعقوب، وجاؤوا لهلاك قوم لوط<sup>(4)</sup>.

فقد جعلوا الملائكة بشراً، وجعلوا إبراهيم عليه السلام مُقرأً بذلك.

#### إسماعيل عليه السلام

ذكرت الدراسة في الفصل السابق أنّ اليهود تدعي أنّ اسحق هو الذبيح وليس إسماعيل، ولم يكتف اليهود بذلك وإنما افتروا على أمه هاجر، يقول البوصيري<sup>(5)</sup>:

ظنوا برّبهم الظنونَ ورسله      ورّموا إناثاً بالأذى وفحولاً

فقد جاء في توراتهم أن سارة أمرت إبراهيم بطرد الجارية، فقبح الكلام في وجهه، فقال الله له: "لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك، في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحق يُدعى لك نسل"، ففكر وأخذها إلى صحراء بئر السبع<sup>(6)</sup>. فلم يقتصر كذبهم وزعمهم على الأنبياء وإنما على الله عز وجل بأنّه هو من أمر إبراهيم بأخذ "هاجر"، وهم يذكرون أنّ المكان كان في بئر السبع، ولكنّ القرآن الكريم يذكر أنّه في أرض مكة، حيث لم يكن فيها زرعٌ ولا بشر، قال تعالى على لسان إبراهيم: "ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي

(1) انظر: سفر التكوين إصحاح/18، 1991م، ص24-25.

(2) البوصيري، 1955م، ص136.

(3) سورة الذاريات، آية 24.

(4) انظر: الصابوني، 1976م، ص254.

(5) البوصيري، 1955م، ص144.

(6) سفر التكوين، إصحاح/21، 1991م، ص30.

زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون<sup>(1)</sup>، وهم بذلك يصورون هاجر امرأة منبوذة من الرب ومن زوجها ومن الجميع، وسارة هي من رضي الله عنها، وسمع كلامها.

### يعقوب عليه السلام

لم يسلم يعقوب عليه السلام ولا أبنائه من ادعاءات اليهود واتهاماتهم الباطلة، وقد عبّر البوصيري عن ذلك قائلاً<sup>(2)</sup>:

وَعَزَّوْا إِلَى يَعْقُوبَ مِنْ أَوْلَادِهِ ذَكَرًا مِنَ الْفَعْلِ الْقَبِيحِ مَهُولًا

واتهموه بأنه قد تصارع مع ربه، وقد ذكر موضع ذلك في توراتهم في الفصل الأول، واتهموه بأنه خدع والده إسحق وأوهمه بأنه "عيسو" وقدم له الطعام ليباركه؛ لأن إسحق كان كفيفاً، فلبس له جلد ماعز، ليوهمه بأنه عيسو الذي كان كثيف شعر اليدين، وكانت هذه الحيلة من تخطيط أمه "رفقة"<sup>(3)</sup>، على حد زعمهم، فما هذا النبي الذي يكذب على والده ويخدعه لكي يباركه وينتحل شخصية أخيه؟ وكيف لإنسان خلق الله له عقلاً أن يصدق هذه المزاعم؟! ولم يكتفوا بهذه التهم وإنما ادعوا بأن يعقوب اغتصب ابنته<sup>(4)</sup>، واتهم اليهود ابن يعقوب "روبيل" بالزنا، يقول البوصيري<sup>(5)</sup>:

لَمْ يَنْتَهَوْا عَنْ قَذْفِ دَاوُودَ وَلَا لُوطَ فَكَيْفَ بَقِيَتْهُمْ رُوبَيْلًا

فقد زعم اليهود أن "روبيل" ابن يعقوب البكر اعتدى على "بلهة" سرية يعقوب واضطجع معها، ولم يحرك يعقوب ساكناً<sup>(6)</sup>.

### موسى عليه السلام:

إنّ قارئاً متفحصاً ديوان البوصيري يدرك أنه تحدث كثيراً عن قصة موسى مع بني إسرائيل، وعن قصة العجل التي كررها غير مرّة، مؤكداً حقد اليهود وعداوتهم للأنبياء، يقول البوصيري<sup>(7)</sup>:

قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَاتَّخَذُوا الْعِجْلَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ

- (1) سورة إبراهيم، آية 37.
- (2) البوصيري، 1955م، ص137.
- (3) انظر: سفر التكوين/ إصحاح27، 1991م، ص41.
- (4) انظر: سفر التكوين/ إصحاح34، 1991م، ص55.
- (5) البوصيري، 1955م، ص137.
- (6) انظر: سفر التكوين/ إصحاح35/21، 1991م، ص29-57.
- (7) البوصيري، 1955م، ص16.

وسفية من ساءه المن والسّ لوى وأرضاه الفوم والقتاء

فقد اتخذوا العجل إلهاً معبوداً لهم من دون الله، وقد صنعه لهم السامري من الحلي التي استعارها من القبط قبل غرقهم<sup>(1)</sup>، وفي رحلتهم مع موسى عليه السلام في صحراء سيناء طلبوا إليه طعاماً، فدعا الله، فأنزل عليهم "المن والسلوى"<sup>(2)</sup>، ولم يرتضوا بذلك لكفرهم وعنادهم بل طلبوا إلى موسى أن يخرج لهم الفوم والقتاء، فاستبدلوا الأدنى بالأعلى لحماقتهم وكفرهم، قال تعالى فيهم: "وإذ قلتموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتبائها وفومها وعدسها وبصلها..."<sup>(3)</sup>.

وقد جعل الشاعر عبادتهم للعجل فتنة، حيث يقول<sup>(4)</sup>:

فقومٌ منهمُ فتنوا بعجلٍ وقوماً منهمُ فتن الصليب

ولم يكتف اليهود بذلك بل عبدوا الأوثان بعد وفاة موسى، يقول البوصيري<sup>(5)</sup>:

وصيروا إلى الأوثان بعد وفاته والرسل من أسف عليهم تندب

وقد نهوا في التوراة عن عبادة الحجارة والمنحوتات، إلا أنهم لم ينتهوا عن ذلك، وكانت هذه من ضمن الوصايا العشر في دينهم، والافتصار على عبادة الله فقط، فقد جاء في توراتهم "لا تضع تمثالاً منحوتاً صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض فأسفل وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهم ولا تعبدن..."<sup>(6)</sup>.

وزعموا في توراتهم حصول أحداث كثيرة وهم مع موسى في الصحراء، يقول البوصيري<sup>(7)</sup>:

وبأنهم رحلوا به في قبّة وبأنهم سمعوا كلام إلههم  
وبأنهم ضربوا ليسمع ربهم  
إذ أزمعوا نحو الشام رحيلاً  
وسببهم أن يسمعوا المنقولاً  
في الحرب بوقات له وطبولاً

(1) انظر: ابن كثير، 1937م، ص530-536.

(2) المن: نوع من الحلوى، والسلوى: طائر، انظر: ابن كثير، 1937م، ص165-170.

(3) سورة البقرة، آية 61.

(4) البوصيري، 1955م، ص36.

(5) البوصيري، 1955م، ص45.

(6) سفر التثنية/إصحاح 5، 1991م، ص279.

(7) البوصيري، 1955م، ص134، 135.

حيث زعموا أنّ الله أمر موسى أن يصنع له قبةً فعملها وسماها قبة العهد، ونزل الله من عرشه وسار معهم في داخلها، ينزل بئزولهم، ويرحل برحيلهم<sup>(1)</sup>، وزعموا أنّهم سمعوا كلام الله وهم في الصحراء، حيث جاء في توراتهم: "هو ذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته، وسمعنا صوته من وسط النار..."<sup>(2)</sup>

وهذا محض افتراء لا يقبله العقل، فإذا سمعوا كلام الله، إذن ما الذي يميزه من البشر؟ وادعوا في توراتهم أيضاً أن الله أمرهم أن يضربوا بالطبول وبالأبواق إذا ذهبوا إلى الحرب، وقد ورد ذلك في توراتهم: "وإذا ذهبتُم إلى حربٍ في أرضكم على عدو يضربكم تهتفون بالأبواق، فتذكرون أمام الرب إلهكم، وتخلصون من أعدائكم"<sup>(3)</sup>.

وبهذه التهم يكون اليهود قد جعلوا الله بشراً، وأضافوا عليه صفات الخلق، فكيف يتشابه هنا الخالق والمخلوق؟!!

ولا تزال اتهاماتهم لموسى عليه السلام مستمرة، يقول البوصيري<sup>(4)</sup>:

وبأنّ أموال الطوائف خلّلت لهم رباً وخياناً وغُلولا

حيث زعموا أنّ موسى أمرهم بأخذ أموال خزانته من أهل مصر على سبيل الفدية وأمرهم بأن يهربوا بها كأجرة على السحر الذي قاموا به مع فرعون، مع علمهمبهي توراتهم عن السرقة<sup>(5)</sup>.

ويورد البوصيري تهماً أخرى ألقاها اليهود رشقا لموسى<sup>(6)</sup>:

وبأنّ موسى صوّر الصُورَ التي ورثوا له غضبَ الإلهِ فلا عدا  
وبأنّ سحرًا ما استطاعَ لأيةٍ  
وبأنّ ما أبدى لهم من آيةٍ  
ما خلّ فيها نهيةً معقولا  
غضبُ الإلهِ عدوّه الضّليلا  
منه ولا استطاعتُ له تبطيلا  
أبدوا إليه مثلها تخيلا

لقد اتهم اليهود موسى عليه السلام بتصوير الصور التي نهى الله عنها، فغضب الله على موسى وكأنه غدا عدو الله، ومرّ ذكر النص الذي يحرم صنع التماثيل والتصوير في توراتهم،

(1) انظر: البوصيري، 1955م، ص134.

(2) سفر التثنية/إصحاح 5، 1991م، ص280.

(3) سفر العدد/إصحاح 10، 1991م، ص221.

(4) البوصيري، 1955م، ص136.

(5) انظر: البوصيري، 1955م، ص136.

(6) البوصيري، 1955م، ص136.

وأمعنوا في رشق موسى بالتهمة الباطلة في قصة السحرة مع فرعون فهو لم يستطع إبطال سحر فرعون ومن معه، وإن ما أظهره لم يكن معجزة وإنما سحرٌ وتخيُّل.

#### هارون عليه السلام

لم يكن هارون عليه السلام بأفضل حظاً من الأنبياء السابقين، فقد رُشق بتهم باطلة من بني يهود، فقد اتهموه بصناعة العجل الذي صنعه لهم السامري، يقول البوصيري<sup>(1)</sup>:

وَجَنُوا عَلَى هَارُونَ بِالْعِجْلِ الَّذِي نَسَبُوا لَهُ تَصْوِيرَهُ تَضَلِيلًا

فقد جاء في توراتهم، أنّ اليهود لما رأوا موسى أبطأ في النزول من الجبل طلبوا إلى هارون أن يصنع لهم العجل، فأمرهم أن يجمعوا أقراط الذهب من نسائهم، ففعلوا، وصنعه لهم<sup>(2)</sup>، ويمضي البوصيري متسائلاً عن عدم مخالفتهم رأي هارون بالذبح في يوم السبت، إذ قال<sup>(3)</sup>:

أَوْ خَالَفُوا هَارُونَ فِي ذَبْحٍ وَفِي عَجْنٍ بِهِ لَمْ يُبَدَّ عَنْهُ نَكُولًا

فقد زعموا أنّ هارون أمر بذبح كبشين ابني سنة في يوم السبت، ومكيال سميد يُعجن بالزيت، وقد أطاعوه في ذلك علماً بأن التوراة حرّمت فعل ذلك في يوم السبت<sup>(4)</sup>. وقد كثر وجود وجود التناقض في توراتهم، فأضعف موافقهم وعقيدتهم.

#### داوود عليه السلام

لقد اتُّهم داوود عليه السلام بأكثر من تهمة، منها اتُّهم اتهموه بسفك دماء الفلسطينيين وقتلهم<sup>(5)</sup>، يقول البوصيري<sup>(6)</sup>:

لَمْ يَنْتَهَوْا عَنْ قَدْفِ دَاوُودٍ وَلَا لَوْطٍ فَكَيْفَ بَقْدْفِهِمْ رُوبِيَلًا

ولم يكتفوا بذلك بل اتهموه بأنّه أصبح عاصياً في آخر أيامه حيث أحضروا له عذراء جميلة<sup>(7)</sup>، وليس هذا فقط فتوراتهم تمنى باتهام داوود عليه السلام بكل فعل قبيح.

(1) البوصيري، 1955م، ص138.

(2) انظر: سفر الخروج/ إصحاح 32، 1991م، ص137.

(3) البوصيري، 1955م، ص143.

(4) البوصيري، 1955م، ص143.

(5) انظر: سفر أخبار الأيام الأولى/ إصحاح 28، 1991م، ص649.

(6) البوصيري، 1955م، ص137.

(7) انظر: سفر الملوك الأول/ إصحاح 28، 1991م، ص509-518.

## عيسى عليه السلام

لقد أسهب اليهود في حديثهم عن عيسى عليه السلام، وحرّفوا قصته، وادعوا صلبه وقتله، وقد قام البوصيري بالرد عليهم وبيان حقيقة صلبه، و أورد ادعاءاتهم في غير موضع، يقول<sup>(1)</sup>:

أجزوا اليهودَ بصَلْبِهِ خيراً ولا  
زعموا الإلهَ فدى العبيدَ بنفسِهِ  
وأجلُّ روحاً قامت الموتى به  
عن أن يُرى يبيد اليهودَ قتيلاً  
فدعوا حديثَ الصَّلبِ عنهُ ودونكم  
عن كُتُبِكُمْ ما وافق التنزيلاً

ويشير البوصيري هنا إلى الرجل الذي دلّ اليهود على "عيسى"، وهو يهودا الإسخريوطي<sup>(3)</sup> مقابل الرشوة، ولكن زعمهم بقتله باطل فالقاتل كان هو المقتول وهو يهودا، ويدعو الشاعر اليهود إلى الكفّ عن ادعائهم بقتله، وأن يعودوا إلى كتبهم التي ساقت القصص الحقيقية دون تحريف أو تزوير.

ثم يسوق الشاعر قصة الصلب التي وردت في الإنجيل بتفاصيلها، يقول<sup>(4)</sup>:

أوجَلَّ مَنْ جَعَلَ الْيَهُودَ بَزْ عَمِكُمْ  
شَـوْكَ الْقَتَادِرِ أَسْبَهُ إِكْلِيلاً  
ومضى بِحُمْلٍ صَليْبِهِ مستسلماً  
للموتِ مكتوفَ اليدينَ ذَليلاً

فقد جاء في الإنجيل أنهم ضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه، ظانين بأنه عيسى عليه السلام<sup>(5)</sup>، وقالوا بأنهم صلبوه في موقع يُقال له "جمجمة"، وكانوا يقولون: "فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله"، وصلبوا معه اثنين آخرين حيث جعلوا واحداً عن يمينه، والآخر عن يساره<sup>(6)</sup>، وقد كذب اليهود والنصارى في قصة صلب المسيح، حيث قال تعالى: "وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم"<sup>(7)</sup>.

ويمهد اليهود لعذرهم في صلب المسيح، أنه ليس هو المسيح، وأن من تعلّق بالصلب يلعنه الله<sup>(8)</sup>، يقول البوصيري<sup>(9)</sup>:

- (1) البوصيري، 1955م، ص131-132.
- (2) البرطيل: الرشوة، مادة برطل، ابن منظور، 2003م.
- (3) انظر: البوصيري، 1955م، ص132.
- (4) البوصيري، 1955م، ص132.
- (5) انظر: إنجيل مرقس/ إصحاح 15. 1991م، ص87.
- (6) انظر: إنجيل لوقا/ إصحاح 23، 1991م، ص116.
- (7) سورة النساء آية 157.
- (8) انظر: البوصيري، 1955م، ص137.
- (9) البوصيري، 1955م، ص137.

وَلَمَنْ تَعَلَّقَ بِالصَّلَيبِ بِزَعْمِهِمْ لَعْنًا يُعَوِّدُ عَلَيْهِمْ مَكْفُولًا

### محمد صلى الله عليه وسلم

ليس خفياً أن البوصيري اشتهر بشعره في المديح النبوي وبخاصة قصيدة "البردة" التي ذاع صيتها، ونُسجت حولها الحكايات التي تقول بأنها تشفي من الأمراض، وأمور من هذا القبيل، وكانت أول قصيدة للبوصيري في المديح النبوي سنة 654هـ بعد اندلاع نيران الحرم النبوي، وترديد اليهود والنصارى الإشاعات فانبرى يدافع عن دين الإسلام<sup>(1)</sup>، وربما كانت هي قصيدة "تطهير الحرم من تدنيس الضرم".

وقد ركز في مدائحه للرسول صلى الله عليه وسلم على تأكيد نبوته من خلال كتب اليهود والنصارى، وإقامة الحجة عليهم والرد على افتراءاتهم الكاذبة، حيث يقول: "لَمَّا رَأَيْتَ كَتَبَ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ مَشْحُونَةً بِمَا يَنْكُرُونَهُ مِنْ بَعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَدْعُونَهُ مِنَ الْوَهْيَةِ الْمَسِيحِ وَمِنْ صَلْبِهِ...، تَعَرَّضْتُ إِلَى ذِكْرِ مَا سَهَّلَ نَظْمَهُ"<sup>(2)</sup>.

ويثبت شعره ثقافته الواسعة في ادعاءات اليهود في توراتهم المحرفة فقد استحضر لهم نصوصاً من توراتهم تفنعم بنبوة -محمد صلى الله عليه وسلم-.

لقد بدأت خصومة اليهود للإسلام خصومةً فكرية، فقد رفضوا الاعتراف بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تحولت بعد ذلك إلى صراع ونزاع وقتال<sup>(3)</sup>، يقول البوصيري<sup>(4)</sup>:

أَفَيْلَأَنْفُ الْكُفَّارِ أَنْ يَسْتَدْرِكُوا قَوْلًا عَلَى خَيْرِ الْوَرَى مَنَحُولًا  
لَا دَرُّ دَرُّهُمْ فَإِنْ كَلَامَهُمْ يَبْذُرُ الثُّرَى مِنْ أَدْمُعِي مَبْلُولًا  
إِنْ يَبْخَسُوهُ بِكُلِّ زورٍ حَقُّهُ فَلَأُوسِعَنَّهُمْ الْجِزَاءَ مَكِيلًا

تبدو عاطفة حب الرسول صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه واضحة، مقابل مشاعر البغض لليهود، فهو يصف اتهاماتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بالانتحال "الكذب"، وهذا لا يطيقه الشاعر، ما يجعل دموه تسيل بغزارة لتبطل التراب، فقد كان كلامهم عن النبي، زورا وبهتاناً، والبوصيري يؤكد أنه سيرد عليهم جزاء ذلك، ويفحهم بأدلتهم التي تجبرهم على الاعتراف برسالته ونبوته.

ثم ينتقل البوصيري ليرسم صورة رائعة لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم -وشريعة الأنبياء السابقين، يقول<sup>(5)</sup>:

(1) انظر: صالح، 1986م، ص147.

(2) البوصيري، 1955م، ص128، ضيف، 1988م، ص235.

(3) انظر: علي، 1970، ص545.

(4) البوصيري، 1955م، ص144.

(5) البوصيري، 1956م، ص145.

لا تَذْكروا الكُتُبَ السَّوَالِفَ عِنْدَهُ      طَلَعَ النَّهَارُ فَاطْفَأُوا الْقَنَدِيلَا  
دَرَسْتْ مَعَالِمَهَا أَلَا فَاَسْتَخْبِرُوا      فِيهَا رُسُومًا عَفَتْ وَطُلُولا

لقد كانت شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- ضوء الشمس المنيرة في النهار، أما شرائع الأنبياء السابقين، فهي كالقنديل في ضوئها، وهذا تشبيه جميل، فضوء الشمس يعم الكرة الأرضية، أما ضوء القنديل، فإنه لا يضيء إلا مكانا ضيقا محصوراً، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن دين الإسلام جاء مبشراً لجميع الأمة، على عكس الديانات السابقة التي كان يأتي بها الأنبياء لأقوام محددين، وهو دين جاء ناسخاً لكل الديانات السابقة لذلك أنكر اليهود النسخ، وعدوا شريعة موسى ناسخة للشرائع السابقة، وينقلنا الشاعر في البيت الثاني إلى جو جاهلي، إلى الأطلال التي تغنى بها الشعراء الجاهليون، فالشاعر يصور الشرائع الدينية السابقة بالأطلال التي درست معالمها، فلم يبق فيها إلا طولول أو رسوم تدل على وجودها في يوم ما، وقد كان الشاعر موفقاً في اختيار كلمة "درست" ولم يقل "عفت" أو "محييت"، لأن بعض الكتب السماوية ما زالت موجودة حتى الآن "التوراة والإنجيل"، وحتى يؤكد وجودها يطلب الشاعر إلى اليهود أن يعودوا إلى التوراة يقول (1):

تُخْبِرُكُمْ التَّوْرَاةُ أَنْ قَدْ بَشَّرَتْ      قَدَمًا بِأَحْمَدَ أَمْ بِإِسْمَاعِيلَا  
وَدَعَتْهُ وَحْشَ النَّاسِ كُلِّ نَدِيَّةٍ      وَعَلَى الْجَمِيعِ لَهُ الْأَيْدِي الطُّوْلَى  
تَجِدُوا الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ فَطَالَمَا      صَدَقَ الْخَبِيثُ هَوَى الْمَحَبِّ نُحُولَا  
مَنْ مَثَلُ مُوسَى قَدْ أَقِيمَ لِأَهْلِهِ      مَنْ بَيْنَ إِخْوَتِهِمْ سِوَاهِ رَسُولَا  
طَوْبِي لِمُوسَى حِينَ بَشَّرَ بِاسْمِهِ      وَلِسَامِعٍ مِنْ فَضْلِهِ مَا قِيلَا  
وَجِبَالِ فَارَانَ الرَّوَّاسِي إِنَّهَا      نَأَلَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِهَاتِفِ الْفُضْلَا

فإذا تمعن هؤلاء في التوراة، فسيجدون فيها التبشير بسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وليس بإسماعيل كما ادعوا، فقد بشر موسى في توراته بمجيء نبي من بعده وورود "جبال فاران" في التوراة تؤكد ذلك لأنها "هي مكة المكرمة" (2).

فقد جاء في توراتهم ما نصّه "قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك وجعلتك نبياً للشعوب" (3)، فمن هو نبي الشعوب والأمة جميعها؟ إنه الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-.

(1) البوصيري، 1955م، ص145-146.

(2) البوصيري، 1955م، ص147.

(3) سفر إرميا إصحاح1، 1991م، ص1031.

وفي السفر نفسه "ها قد جعلتُ كلامي في فمك"<sup>(1)</sup>، فواضح أنّ النبي محمداً صلى الله عليه وسلم، هو من أنزل عليه القرآن مباشرة دون ألواح ودون صحف كما في بعثة موسى وإِنما أوحى الله له مباشرة<sup>(2)</sup>.

ويستمر البوصيري في إثبات نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- من خلال توراة اليهود ويتنقل بين الأسفار راداً مزاعمهم، يقول<sup>(3)</sup>:

وكتابُ شعياً مخبرٌ عن ربِّه      فاسمعهُ يُفرح قلبك المتبولاً  
يأتي فيظهر في الورى عدلي ولم      يكُ بالهوى في حكمه ليميلاً

فالشاعر يحيلهم إلى سفر إشعيا، ليروا أنه تنبأ بمجيء محمد عليه السلام بعده، الذي سيقم العدل في العالم، وهو يحكم العقل بعيداً عن الهوى، جاء في سفر إشعيا: "هو ذا الأوليات قد أنت، والحديثات أنا مخبرٌ بها قبل أن تثبت أعلمكم بها"<sup>(4)</sup>.

فقد أخبر شعياً بالأوليات وهي نبوءته بعيسى عليه السلام، أما الأخريات، فهي نبوءته بمحمد -صلى الله عليه وسلم- والدليل أنه يكمل القول السابق قائلاً: "غثوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض... لترفع البرية ومدنها صوتها في الديار التي سكن فيها قيثار"<sup>(5)</sup> فقيدار هو ابن "نبايوت بن إسماعيل" عليه السلام وأرضه هي مكة المكرمة، والتسبيحة الجديدة التي ترتفع بها الأصوات هي الأذان يُعلن به عن مواعيد الصلاة<sup>(6)</sup>، وقد أشار البوصيري في شعره إلى أرض قيثار حيث يقول<sup>(7)</sup>:

مُننت مساكُنُ القيدارِ به      عزّاً وطابتْ مُنزلاً ونزيراً

ولم تكن النبوءة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- في كتاب "شعياً" فقط، وإنما بشر "حزقيال" أيضاً بذلك، يقول البوصيري<sup>(8)</sup>:

والغرسُ في البدو المشار لفضله      إن كنت تجهُأه فسأحز قبيلاً  
وسلوا الملائكة التي قد أيدت      قيثار تبدي العلاء المَعْلولا

- (1) سفر ارميا/إصحاح 1، 1991م، ص1031.
- (2) انظر: البوصيري، 1955م، ص148.
- (3) البوصيري، 1955م، ص157، 158.
- (4) سفر اشعيا/إصحاح 42، 1991م، ص1002.
- (5) سفر اشعيا/إصحاح 42، 1991م، ص1002.
- (6) <http://www.rasouallah.net/v2/document/aspxlang>
- (7) البوصيري، 1955م، ص158.
- (8) البوصيري، 1955م، ص160.

ويشير في البيت الأول إلى نبوة حزقيال بكفران اليهود، وقد شبهوا بالكرمة السيئة فأحرقها الله<sup>(1)</sup>، وفي البيت الثاني تأييد من الله عز وجل لمحمد عليه السلام في نبوءته؛ لأنه من نسل قيدار.

ويستمر البوصيري في رد مزاعم اليهود وإثبات نبوة محمد عليه السلام في كتب الأنبياء السابقين يقول<sup>(2)</sup>:

وسألنَّ حبقوقَ المصْرَحَ باسمه      ويوصفه وكفى به مسؤولاً  
إذ وصلَ القولَ الصَّريحَ بذكره      للسامعين فأحسنَ التَّوصيلاً

فقد جاء في سفر حبقوق: "الله جاء من تيمان، والقُدوس من جبل فاران ... جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور"<sup>(3)</sup>.

فهذه هي صفات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جاء في جبال مكة حين أنزل عليه الوحي في غار حراء، وملاً الأرض بتسبيحه، وكان وجهه يشع نوراً، فماذا بعد كل هذا؟

وفي سفر دانيال، يؤكد حلم "نبوخذ نصر" نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. يقول البوصيري<sup>(4)</sup>:

واسمُع برؤيا بختنصر والتمس      من دانيال لها إذن تأويلاً  
وسلوه كم تمتد دعوة باطل      لتزيح عنة مُبطلٍ وتزيلاً

فقد رأى "نبوخذ نصر" في منامه تمثالاً مصنوعاً أعلاه من ذهب ووسطه من فضة وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، والرجلان من فخار، ثم ينزل الله حجراً من السماء فيحطمه وتتصهر المعادن، فيفسر دانيال الحلم للملك على أن هذا الحجر هو دين نبي يأتي في آخر الزمان، ويملاً الأرض كلها<sup>(5)</sup>.

وبعد كل هذه الأدلة والحجج التي جاء بها البوصيري، يعود ليخاطب اليهود، وينعتهم بالجهل والكفر والعناد، إن لم يؤمنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. يقول<sup>(6)</sup>:

إن أنكرتُهُ النَّصارى واليهودُ على      ما بيَّنتُ منه توراة وإنجيل  
فقد تكرَّر منهم في جحودهم      للكفر كفرٍ وللتَّجهيلِ تجهيلٌ

(1) انظر: سفر حزقيال/ إصحاح 15، 1991م، ص1145.

(2) البوصيري، 1955م، ص161.

(3) سفر حبقوق/ إصحاح 3، 1991م، ص1274.

(4) البوصيري، 1955م، ص162.

(5) انظر: سفر دانيال/ إصحاح 2، 1991م، ص1206، 1207.

(6) البوصيري، 1955م، ص178.

فالشاعر أورد كل الأدلة التي تثبت صدق رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- في أسفار التوراة وفي أناجيل النصارى<sup>(1)</sup>، وفي الزبور الذي أنزل على سيدنا داود عليه السلام.

لقد نجح البوصيري في الرد على ادعاءات اليهود، وكشف سخف عقولهم وجهلهم، وكبرهم وعنادهم فإن كانوا أذكىء كما يدعون، فحريّ بهم أن يؤمنوا ويحيّدوا عن الضلال.

### الفصل الثالث: أخلاقهم وصفاتهم

إنّ دراسة ديوان البوصيري، تكشف عن صورة قاتمة مظلمة لليهود، فمن خلال الفصلين السابقين يمكن القول بأن اليهود أمة ضالّة تحمل عقيدة باطلة مشوّهة تعجّ بالتناقضات، وتصرّ على رشق الرسل والأنبياء بالتهمة الباطلة، فلم يسلم نبي من مكرهم وخذاعهم، وهم أمة قاتلة لا تراعي ذمّة ولا عهداً، وهم الذين غضب الله عليهم وأضلهم.

واستكمالاً لهذه الصورة لا بد من الحديث عن أخلاقهم وصفاتهم التي ظهرت في شعر البوصيري، وقد جاءت في سياق الحديث عن مواقفهم وجرائمهم وضلالهم، ويمكن إيضاحها على النحو الآتي:

### التكذيب بالكتب السماوية

لم يصدّق اليهود كتاباً سماوياً، وحرّفوا توراة موسى عليه السلام بما يتناسب مع أهوائهم ورغباتهم يقول البوصيري<sup>(2)</sup>:

صَدَّقُوا كُتُبَكُمْ وَكَذَّبْتُمْ كُتُبَهُمْ  
لَوْ جَعَلْنَا جُحُودَكُمْ لَأَسْتَوِينَا  
مَا لَكُمْ إِخْوَةَ الْكِتَابِ أَنْسَاءً  
إِنَّ ذَا لِيَبْسُؤَسَ الْبِئْسَاءِ<sup>(3)</sup>  
أَوْ لِلْحَقِّ بِالضَّلَالِ اسْتَوَاءِ  
لَيْسَ يُرْعَى لِلْحَقِّ مِنْكُمْ إِخَاءُ

يشير البوصيري إلى أنّ المسلمين صدّقوا كتب اليهود من توراة وزبور ولكن اليهود لم يؤمنوا بكتب غيرهم التي أنزلت على الأنبياء والرسل، فكانوا بذلك جاحدين لا يتساوون مع المسلمين في شيء، فالنصارى واليهود لم يراعوا حقوق الله<sup>(4)</sup>.

وقد جحدوا بدين الإسلام، يقول البوصيري<sup>(5)</sup>:

(1) هناك نصوص في إنجيلي (لوقاومرقس) تثبت نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم.

(2) البوصيري، 1955م، ص14، 13.

(3) البواء: المكافأة. مادة بواء، ابن منظور، 2003م.

(4) البوصيري، 1955م، ص178.

(5) البوصيري، 1955م، ص16.

جَدُوا المصطفى وأمن بالطا غوت قوم هم عندهم شرفاء

ويعجب البوصيري منهم حيث شهدوا للرسول صلى الله عليه وسلم- بالأمانة قبل بعثته، ولكن حين أصبح نبياً مرسلًا كذبوه، واتهموه بالسحر، يقول<sup>(1)</sup>:

عجباً لهم شهدوا له بأمانةٍ حتى إذا أدى الأمانة كذبوا

### الغدر

ليس غريباً على اليهود أن يتصفوا بالغدر، فهم من غدروا بالأنبياء، وهم من لا يؤمن جانيهم يقول البوصيري<sup>(2)</sup>:

ثم سمّت له اليهودية الشا  
فأذاع الذراع ما فيه من شر  
وخلق من النبي كريم  
ة وكم ساء الشقوة الأشقياء  
بنطق إخفاؤه إنباء  
لمتقاصص بجرها العجماء<sup>(3)</sup>

تبين الأبيات السابقة قصة اليهودية "زينب بنت الحارث" عندما سمّت شاة، وأكثرت من السمّ في الذراع؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحبّ الذراع، ثم أهدتها إليه فأكل هو وأصحابه ثم نطقت الذراع وأخبرته بأنّها مسمومة، فطلب إلى أصحابه أن يرفعوا أيديهم، ثم جمع اليهود وسألهم عن سبب فعلتهم فأجابوه: "قلنا إن كنت نبياً لم يضرّك السمّ، وإن كنت كذاباً استرحنا منك"، وقد توفي من أصحابه "بشر بن البراء"، وكان السمّ يتحرك على الرسول في كل عام حتى إنّه قال في مرضه: "ما زالت أكلة خبير تعاودني حتى قطعت أبهري"، فكانت سبباً في موته حتى يُكتب عند الله شهيداً، وبسبب حلمه وعفوه لم تنل تلك الحقودّة قصاصاً، وتذكر روايات أخرى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم- دفعها إلى أولياءه "بشر بن البراء" فقتلها قصاصاً<sup>(4)</sup>، والله أعلم.

### الغي والضلال

لقد غضب الله على اليهود، وأعمى بصيرتهم، فعاشوا في غي وضلال، ولم تسعفهم عقولهم لمعرفة الحق، فلو كان لديهم عقول يفكرون بها لما حلّ بهم ما حلّ، فقد أعمى الإسلام بصيرتهم وبصرهم يقول البوصيري في ذلك<sup>(5)</sup>:

- (1) البوصيري، 1955م، ص46.
- (2) البوصيري، 1955م، ص9،8.
- (3) العجماء: البهيمية، مادة (عجم)، ابن منظور، 2003م
- (4) انظر: الخولي، 2009م، ص139
- (5) البوصيري، 1955م، ص64.

وأعشى ضياء الحقّ ضعفَ عقولكم  
 وشمس الضحى تعشى بها الأعين الرّمذ  
 فكأن عيونهم أصيبت بداء "الرّمذ" الذي أفقدهم بصرهم، فتاهوا في ضلالهم وغيّهم، وهم  
 لن يهتدوا فقد زاغت قلوبهم عن الحق، يقول البوصيري<sup>(1)</sup>:  
 ضلّ النصارى واليهودُ فلا تكن بهم على سبيل الهدى مدلولاً

فالشاعر قد يؤس من هدايتهم، فلم يعد يصلح لهم وعظ ولا نصيحة، بل إنّ الموعدة تزيدهم  
 قسوة، يقول<sup>(2)</sup>:

وعظمتّم فزدتّم بالمواعظ قسوةً  
 وليس يفيدُ القدح إن أصلد الزند<sup>(3)</sup>  
 وما لئنت نار الحجاز قلوبكم  
 وقد ذاب من حرّ بها الحجر الصلّد

ويقصد بالنار تلك التي اندلعت في الحرم النبوي الشريف، وقد مرّ ذكر ذلك سابقاً.

#### الكفر والعناد

لم يكتف اليهود بكفرهم وبتكذيبهم للأنبياء والرسل والكتب السماوية، وإنما ظلّوا مصرّين  
 على أنهم أصحاب حقّ، واستمروا في عنادهم، وإصرارهم على الباطل. يقول البوصيري<sup>(4)</sup>:  
 فبظلم منهم وكُفر عدتهم طبيبات في تركهن ابتلاءً

فقد عاتبهم الله على ظلمهم وكفرهم وخرقهم لتعاليم دينهم، فحرّموا طبيبات كثيرة وقد ابتلاههم  
 الله بالأمراض وأرسل عليهم القمل والضفادع والجراد، حتى يتّعظوا ويعودوا لرشدهم، ولكن  
 أنّى لهم الرجوع إلى الحق؟!!

وبسبب كفرهم وعنادهم، أرسل الله لهم الأنبياء وكانوا في كلّ مرة يكذبون ويقتلون، وقد  
 عبّر البوصيري عن هذا المعنى راسماً صورة رائعة، إذ قال<sup>(5)</sup>:

لو يصدقون لما أتت رسلهم  
 أترى الطبيب غداً يزور عليلاً

(1) البوصيري، 1955م، ص134.

(2) البوصيري، 1955م، ص164.

(3) أصلد الزند: جعله يصوت، ولم يُخرج ناراً، مادة (أصلد)، ابن منظور، 2003م.

(4) البوصيري، 1955م، ص17.

(5) البوصيري، 1955م، ص145.

فقد لزمتهم العلة، علة الكفر وعمى الأبصار، فأرسل الله لهم الأطباء "الرسل" ليشفوهم من أسقامهم، التي ما انفكوا مصرين عليها بعنادهم.

ويصرُّ اليهود على إنكار دعوة -محمد صلى الله عليه وسلم- لما حلَّ بهم على يديه من جلاء وقتل، يقول البوصيري<sup>(1)</sup>:

أولا ينكرون مَنْ طَحَنَتْهُمْ  
وكسأهم ثوب الصغار وقد  
برحاهما عن أمره الهيجاء  
طأت دماً منهم وصينت دماء

فقد أهلك الله أجدادهم وآباءهم في حرب الرسول عليهم حين أجلى بني النضير إلى الشام وقتل بني قريظة، فلذلك ظلوا مصرين على كفرهم وعنادهم للرسول -صلى الله عليه وسلم-<sup>(2)</sup>، حقداً ولؤماً، فقلوبهم سود لا تعرف التسامح والعفو، وعبرت الأبيات عن صورة الحرب بالطاحونة دلالة على شدة القتل الذي لحق بهم على يد الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

### خيانة العهود والمواثيق

لقد عُرف عن اليهود قديماً وحديثاً أنهم لا يحترمون عهداً ولا اتفاقاً؛ لأن العهد عندهم وسيلة مؤقتة للحصول على مكسب آخر<sup>(3)</sup>.

وقد أفرد البوصيري أبياتاً من قصيدته "الهمزية" ليتحدث عن قصة الأحزاب، التي تأمرت ضدَّ الرسول وخانته، مشيراً إلى نقض بني قريظة لعهدها مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول<sup>(4)</sup>:

وبيوم الأحزاب إذ زاغت الأبـ  
وتعتوا إلى النبي حدوداً  
صار فيهم وضأت الآراء  
كان فيها عليهم العدواء  
فأبيد الأعمار والتهاؤ  
ونتهت عن قوم

فقد خدع بنو قريظة بالأحزاب بعد أن جاء إليهم "حيي بن أخطب" وظلَّ يقنع "كعب القرظي" صاحب العقد مع الرسول، حتى نقض عهده مع الرسول ويرى منه<sup>(5)</sup>.

إن انخداع اليهود بالأحزاب وتآمرهم معهم أكبر دليل على ضلالهم وغبائهم، وعدم تسديد خطاهم، يقول البوصيري<sup>(6)</sup>:

(1) البوصيري، 1955م، ص14.

(2) انظر: المهدي، 2010م، ص250.

(3) انظر: الخولي، 1998م، ص153.

(4) البوصيري، 1955م، ص17.

(5) انظر: المهدي، 2010م، ص273.

(6) البوصيري، 1955م، ص17.

خُدَعُوا بِالْمُنَافِقِينَ وَهَلْ يُنْفِقُ  
وَاطْمَأَنُّوا بِقَوْلِ الْأَحْزَابِ إِخْوَا  
حَالْفَوْهَمِ وَخَالْفَوْهَمِ وَلَمْ أَدِ  
أَسْلَمُوهُمْ لِأَوَّلِ الْحَنْشِرِ لِامِيعَادِهِمْ  
إِلَّا عَلَى السَّيْفِ فِيهِ الشُّبْحَاءُ  
نَهْمٌ إِنَّمَا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ  
رِ لِمَاذَا تَخَالَفَ الْحَلْفَاءُ  
صَادِقٌ وَلَا الْإِيْلَاءُ

فقد أضلهم الله وأعمى قلوبهم، فقد خُدعوا بالمنافقين من الأوس والخزرج الذين كانوا يظهرون الإسلام خشية قتلهم، ويبطنون الكفر، فاطمانوا لقولهم بموالاتهم ونصرتهم وتحالفوا معهم على أنهم لن يرجعوا حتى يقتلوا النبي عليه السلام وذلك بعد خروج "حيي بن أخطب" إلى غطفان وإلى قريش يقتنعهم بذلك، فلما علم النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك حفر خندقاً حول المدينة، وخرج إليهم واستمر حصارهم خمسة عشر يوماً أو عشرين يوماً دون قتال، فأرسل النبي "نعيم بن مسعود" بعد إسلامه وبت الشائعات فيهم مخبراً أن كل طرف تخاذلوا ولا يريدون قتالاً، ونجح في ذلك، فترجعوا، وخُدلوا، ثم أوحى الله للرسول بضرورة قتال بني قريظة، فحاصرهم خمسة وعشرين يوماً، ثم أمر بهم فأدخلهم المدينة وحفر لهم الأخدود، وكانوا بين ستمائة إلى سبعمائة فقطع -صلى الله عليه وسلم- أعناقهم<sup>(1)</sup>.

وتعدوا بذلك حدوداً كانوا قد عاهدوا الرسول عليها، ولكن ذلك انقلب وبالأعلى رؤوسهم، ويبدو أن قوماً منهم كانوا قد نهوهم عن نقض العهد مع الرسول ولكنهم لم يسمعوا لهم ولم ينتهوا، فكان مصير الطرفين القتل والإبادة من الرسول عليه السلام.

فقد أوهمو الرسول -عليه السلام- ببقائهم على عهدهم، مكرراً وخديعةً ولكنهم خرقوا العهد، وتآمروا على قتله، ويصوّرهم البوصيري بالأفاعي التي تظهر الملمس الناعم، وتنفت سماً في الضحية، يقول<sup>(2)</sup>:

أبناء حيّاتٍ أَلَمَ تَرَّ أَنَّهُمْ  
يَجِدُونَ دَرِيَّاقَ السَّمُومِ قَتُولَا

فما يظهرون من خير وحسن لا يكون إلا سماً لا شفاء منه، يقتلون به كل مسلم.

### السرقعة وشهادة الزور

حين باشر البوصيري الشرقية ببلييس، رأى ظلم المستخدمين وسرقتهم سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم يهودا، وقد استحل اليهود مال الطوائف أجمعين<sup>(3)</sup>.

(1) انظر: المهدي، 2010م، ص268-270.

(2) البوصيري، 1955م، ص140.

(3) انظر: مبارك، 1900م، ص189.

فنظم البوصيري قصيدة هجاهم فيها، وقد كشف عن اتصاف اليهود بالسرقه وشهادة الزور، يقول<sup>(1)</sup>:

وحللت اليهودُ بـجُفْظِ سببتِ  
وفي دار الوكالمة أي نهب  
فقام بها يهودي خبيثٌ  
وشاهدهم إذا أنهموا يودي  
لهم مال الطوائف أجمعيناً  
فليتلك لؤ نهبت الناهبين  
يسوم المسلمي أذى وهوناً  
عن الكل الشهادة واليميناً

ويذكر الشاعر صفة الخبث التي يمتاز بها اليهود، حين يوقعون الأذى والهون بالمسلمين ويسرقون أموالهم، ولا يتورعون عن قول "الزور" إذا أنهموا، وماذا سيمنعهم من ذلك وهم كفار.

لقد ظلت هذه القصيدة وثيقة تاريخية شاهدة على اختلاف الطوائف في مصر في عصر المماليك، وعلى ما كان يجري من اليهود من سرقة وفساد إدارة<sup>(2)</sup>.

#### الحسد

إن استقراء التاريخ يثبت أن اليهود لا يريدون لأحد الخير ولا المال ولا الجاه وإنما يريدونه لأنفسهم فقط، وهذا دليل أنانية، وتعالٍ وغرور، فمن شدة حبهم الدنيا يعبدون الماس والذهب والفضة<sup>(3)</sup>، ويتمنون زوال النعمة عن غيرهم، ويحرصون على حياة، مهما كانوا مذلولين أو مهانين فيها يقول تعالى: "ولتجدنهم أحرص الناس على حياة"<sup>(4)</sup>.

ويخاطبهم البوصيري مستكراً حسدهم، يقول<sup>(5)</sup>:

يحسد الأول الأخيرَ ومازا  
ل كذا المحدثون والقدمات

فالحسد قائم منذ الخليقة، اتصف به القدمات والمحدثون، ولكن اليهود تميزوا به عن غيرهم، فقديهم وحديثهم فيه سواء.

(1) البوصيري، 1955م، ص222-223.

(2) انظر: مبارك، 1900م، ص191.

(3) انظر: الخولي، 1998م، ص154.

(4) سورة البقرة، آية 96.

(5) البوصيري، 1955م، ص14.

## الجبن

إنَّ حرص اليهود على الحياة الدنيا وتكاليهم عليها، وحبهم للمال، جعل الخوف يسكن قلوبهم، وجعل النذالة والخسة تلازمهم، وهذا ما أثبتته معركة الأحزاب كما يتجلى في قول البوصيري<sup>(1)</sup>:

سكن الرعبُ والخرابُ قلوباً      وبيوتاً منهم نعاها الجلاءُ

ويشير الشاعر هنا إلى غزوة بني النضير، حيث خرج الرسول -صلى الله عليه وسلم- يستعين بهم في دية قتلين قتلتهما بعض حلفائه، فأظهروا له الإجابة، ولكنهم توعدوه بالقتل بإلقاء صخرة عليه، فأخبره جبريل بالمكيدة فخرج ورجع إلى المدينة، وجهاز نفسه وسار لحربهم وحاصرهم ست ليالٍ، وظلوا في حصونهم، فقطع نخلهم وحرقها، وبعد حصارهم خمسا وعشرين ليلة، أمرهم الرسول بالخروج من بيوتهم، فكانوا يخربونها بأيديهم قبل خروجهم، ثم أجلوا إلى خيبر ثم إلى الشام والحيرة، وقد قهروا رعباً وجبناً من الرسول -صلى الله عليه وسلم- أما أموالهم الباقية، فقد قسمها الرسول -عليه السلام- على المهاجرين<sup>(2)</sup>، وقد جاء في كتاب الله عز وجل: "يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين"<sup>(3)</sup>.

## اللوم

إنَّ كل أعمال اليهود وادعاءاتهم وموقفهم من الأنبياء تثبت أنَّ حقداً و لؤماً تمكّن من قلوبهم، وأعمى بصيرتهم عن الحق، كما يبدو في قول البوصيري<sup>(4)</sup>:

لا تكذب إنَّ اليهودَ وقد زَا      غوا عن الحقِّ مُعشراً لؤماء

والشاعر ينهى أي قارئ لقصيدته عن تكذيب رأيه بأنَّ اليهود لؤماء زاغوا عن طريق الصواب، وابتعدوا عن الحقِّ.

يمكن القول إنَّ الصورة التي رسمها الشاعر "الأنا" "البوصيري" "للآخر" "اليهودي" كانت صورة سلبية في ملامحها، فلم يذكر أية صفة إيجابية لهم، ولم يمدح أي موقف من مواقفهم، فالصفات التي نُعتوا بها تثبت أنهم أسوأ خلق الله على وجه الأرض، وبذلك استحقوا غضبه والطرد من رحمته.

فقد نجح الشاعر البوصيري في رسم تلك الصورة وإظهارها، وقد ساعده على ذلك إلى جانب ثقافته، التصوّف الذي أثر بشكل فعّال في نشوء المدائح النبوية والدفاع عن الإسلام<sup>(5)</sup>،

(1) البوصيري، 1955م، ص17.

(2) انظر: المهدي، 2010م، ص218+272.

(3) سورة الحشر، آية 2.

(4) البوصيري، 1955م، ص16.

(5) انظر: باشا، 1992م، ص104.

والرد على اليهود بالحجة والأدلة العقلية، والأدلة النصية من التوراة، وكشف تناقضهم، وتعرية ادعاءاتهم الباطلة.

### الخاتمة

- بعد البحث في "صورة اليهود في شعر شرف الدين البوصيري" يمكن إجمال النتائج الآتية:
1. أصرَّ اليهود على رفض النسخ والقول بالبداة، وقد ناقضوا أنفسهم بالاعتراف بالمسخ، فردَّ عليهم البوصيري بأدلة عقلية منطقية.
  2. اشتملت توراتهم على معتقدات دينية باطلة منها: أنّ الله ندم على خلق آدم، وأنّ الذبيح هو إسحق وليس إسماعيل، وادعوا تقديس يوم السبت، ولكنهم خالفوا عقيدتهم وأباحوا حرمة فمسخوا إلى قردة وخنزير.
  3. كانت الصورة الدينية النمطية عن اليهود هي المحرك الأساس في حديثه عن اليهود، وفي رسم أبعاد صورتهم، لذا يكاد حضورهم الواقعي في العصر المملوكي يغيب عن شعره حاشاً أبيات قليلة صور فيها تهديهم مع غيرهم، وبخاصة البوصيري نفسه.
  4. كشف تبادل الهدايا بين البوصيري واليهود عن وجود علاقات اجتماعية جيدة بين المسلمين واليهود في تلك الفترة.
  5. وقف اليهود مواقف سلبية من أنبيائهم، فقد قتلوا ستين نبياً في يوم واحد، وشكّوا في نبوتهم، ونعتوهم بصفات لا تليق بهم وهؤلاء الأنبياء هم: لوط، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، وموسى، وهارون وداوود وعيسى -عليهم السلام- ومحمد -صلى الله عليه وسلم-.
  6. رسم الأنا المسلم "البوصيري" صورة سوداء للأخر "اليهودي"، شفت عن أخلاقهم الرديئة وهي أخلاق لا زالت تلازمهم حتى اليوم مثل: العناد والكفر والغدر ونقض العهود والمواثيق والحسد والخوف والجبن واللؤم وغير ذلك.
  7. أظهرت الدراسة الثقافة الواسعة التي ألمّ بها البوصيري، فقد كان دقيقاً في استحضار النصوص التوراتية التي تؤكد الفكرة التي أرادها، وليس هذا وحسب فقد بدأ واضحاً اطلّاعه على الآيات القرآنية وفهمها، وفهم قصص الأنبياء، أمّا العاطفة الدينية فبرزت بشكل واضح في شعره.
  8. اعتمد البوصيري في رده على اليهود على النصوص التوراتية والأدلة العقلية والمنطقية التي تقيم الحجة عليهم، وعلى الآيات القرآنية أيضاً.

### References (Arabic & English)

- [www.alahdal.net](http://www.alahdal.net)
- -Al-Buaiseri, Sharaf Aden Mohammad Eben Sa'eed. (D 696 AH) (1955AD). *Albuaiseri record*, consummated by: Mohammad Saed Al-kelani. P1 Mustafa Al-Babe Al-Halabi Printer, Egypt.
- Al-Demashqi, Mohammad iben Shaker. (D. 764AH) (1973 AD) *Fawat Al-Wafeyat w Al-thail Alayha*, consummated by: Ehsan Abbas, (Print house) house of Sader, Beirut .
- Al-Haitami, Ahmad iben Mohammad Eben Hajar. (D.973AH) (1998AD). *Al-menah Al-Makkeya fe Sharh Al-Hamazeia*, Ch2, Consummated by: Mohammad Bassam Baroud. P1, Cultural Collage, Abu Dabi, Al-Hawi house for printing and publishing, Beirut, Lebanon.
- Al-Hanafe, iben Eyas Abo Al-Barakat, Mohammad iben Ahmad. (D 930 AH) (1982 AD). *Badae' Al-zohour fe Waqae' Al-dohour*, Ch1. consummated by: Mohammad Mustafa, P2. General Egyptian authority of books, Cairo.
- Ali, Jawad (1970AD), *Al-Mofasal in the history of Arabs before Islam*. Ch6, P1. Science house for millions. Beirut. Al-Nahda library, Bagdad.
- -Al-Khawli, Ahmad Mustafa. (2009AD). *Al-Imam Al-Buaiseri Baen Al-Borda W Al-Hamazeia*. P2, Book Center for publishing, Cairo.
- -Al-Khawli, Mohammad Ali. (1998AD) *Jewish from their Book*, P1, Al-Falah house for publishing and distributing, Amman.
- Al-Mahdi, Abo Al-Abbas Ahmad Eben Mohammad. (D1224AH) (2010AD). *Al-Anwar Al-Qudseia fe Sharh Al-Qaseda Al-Hamzeia by Al-Bouaiseri*, Presented and corrected by Abed Al-Salam Al-Khalide, P1. Scientific Books house, Beirut, Lebanon.
- Al-Qalqashande, Abo Al-Abbas. (D.821 AH) (D.T). *Sobh Al-A'sha fe Sena'at Al-Ensha*. Ch.13, Print house, The Ministry of Culture and

- National Guidance, General Egyptian Institution for Authoring and Publishing, Egypt.
- Al-Sabouni, Mohammad Ali. (1976AD) *Safwat Al-tafaseer Collage3*, Print house, Al-fekr house for printing, publishing and distributing. Beirut, Lebanon.
  - Al-Shawkane, Mohammad Eben Ali iben Abdullah. (D.1250 AH) (D.T). *Albader Atale' Bemahasen mn ba'd alqarn alsabie'*, Print house, Al-Ma'refa house for printing and publishing, Lebanon, Beirut.
  - Ashour, Saed Abed Al-Fatah. (1962AD) *Egyptian society in the era of the Mamluk sultans*. P1 Al-Nahda Al-Arabia house, Cairo.
  - -Al-zoubi, Mamdouh (200AD) *Murder is the doctrine of Jews and their followers*, P1, Al-Ahale for distributing, Damascus, Syria.
  - Basha, Omar Mousa. (1992AD). *Iben Nabata Al-Masre The Prince of Orient Poets*, P3. Al-Ma'aref house, Cairo.
  - -Basha, Omar Mousa. (1976AD). *Literature of Consecutive States in the Eras of Zinged, Ayyubid and Mamluks*. P1. Modern thought house.
  - -Daif, Shawqi. (1988AD). *Chapters in poetry and criticism*. P3. Al-Ma'aref house, Cairo.
  - Iben Katheer, Emad Eden Abo Al-fada Esmal. (D.774AH) (1937AD). *The Holy Quran Explanation*, Print house, Mustafa Mohammad Printer, Cairo.
  - Iben Manthour, Jamal Aden Abo Al-Fadel Mohammad Eben Makram. (D.711AH) (2003AD). *Lesan Al-Arab*, Print house, Al-hadeth house, Cairo.
  - Mubarak, Zaki. (1900AD). *Prophetic praises in Arabic literature*. Print house, Asha'b house, Cairo.
  - [http\\www.rasoulallah.net](http://www.rasoulallah.net).

- *The Holy Book, the Old and New Testament* (1991 AD), (Print house). Translated by: Fandike and Al-bustani. Germany.
- The Holy Quran.
- Saleh, Mkhemer (1986AD) *Prophetic praises between Al-Sarsari and Al-Buaiseri*, P1. Mecca house, Beirut. Al-Dar Al-Arabia, Amman.